نقد نظرية صدام الحضارات في الفكر السياسي العربي
إدوارد سعيد إنموذجاً

أ.م.د. عبدالسلام شهيد عجمي العيسى
جامعة ذي قار– كلية الإعلام
abdulsalam2976@utg-edu.iq

https://doi.org/10.61884/hjs.v14i54.603

ملخص :

جاءت هذه الدراسة التي تحمل عنوان (نقد نظرية صدام الحضارات في الفكر السياسي العربي: إدوارد سعيد نموذجاً)، للإحاطة بأبرز الانتقادات والمؤاخذات التي وجهها المفكرون والباحثون العرب عموما، وادوارد سعيد خصوصاً تجاه نظرية "صدام الحضارات" لصموئيل هانتنغتون التي حاول من خلا لها قراءة مستقبل العالم المعاصر وتأكيد تحول مسارات الصراع في القرن القادم -القرن الواحد والعشرين-إلى صراع بين الحضارات وليس صراعاً ايديولوجياً أو اقتصادياً.

الكلمات المفتاحية: صدام الحضارات، صموئيل هانتنغتون، الفكر العربي، ادوارد سعيد.

Critique of the theory "Clash of Civilizations" in Arab Political Thought: Edward Said as a Model

Assistant Professor Dr. Abdulsalam Shaheed Ajami Al-Eissa
University of Thi-Qar – College of Media
Email: abdulsalam2976@utg-edu.iq

ABSTRACT:

This study, entitled "**Critique of the theory 'Clash of Civilizations' in Arab Political Thought: Edward Said as a Model,"** seeks to explore the major criticisms and objections raised by Arab thinkers and scholars in general—and by Edward Said in particular—against Samuel Huntington's "**Clash of Civilizations"** theory. Huntington's theory attempted to predict the future of the contemporary world, asserting that the primary axis of conflict in the twenty-first century would shift from ideological and economic struggles to a conflict between civilizations.
KEYWORDS: Clash of Civilizations, Samuel Huntington, Arab Thought, Edward Said.

المقدمة:

النزاعات القادمة في العالم هي الموضوع الذي حاول " صموئيل هانتنغتون " تفسيره واعطاؤه صيغته المستقبلية، فمع انتهاء الحرب الباردة وما تمخض عنها من إرهاصات وتداعيات فكرية، نشر " صموئيل هانتنغتون " عام ١٩٩٣ مقالاً في صحيفة " الشؤون الخارجية Affairs Foreign" بعنوان " صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي " طوره فيما بعد إلى كتاب يحمل ذات العنوان، أكد فيه نظريته على تحول مسارات الصراع في القرن القادم إلى صراع بين تلك الحضارات وليس صراعا أيديولوجيا أو اقتصاديا، وأثارت هذه النظرية ردود فعل متباينة وظلت محل بحث ومناقشة وجدل فكري منذ سنوات عديدة في الغرب والشرق على السواء.

وكان للفكر السياسي العربي موقفاً تجاه تلك النظرية، لاسيما إنها أعدت العرب والمسلمين بأنهم يشكلون مصدر الخطر الأبرز على الحضارة الغربية.

إشكالية البحث: تنطلق إشكالية الدراسة من تساؤل أساس يدور حول (ماهي أبرز الانتقادات التي وجهها المفكرون والباحثون العرب، ومن ضمنهم ادوارد سعيد " لنظرية صدام الحضارات " لصموئيل هانتنغتون، والتي جعلت من (العرب والمسلمين المصدر الخطير الذي يهدد الحضارة الغربية)، وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات، وهي :

- ما المضامين الأساسية لنظرية صدام الحضارات، وما خلفيتها التاريخية؟
- ما هي أبرز الانتقادات الموجهة لهذه النظرية من قبل المفكرين والباحثين العرب؟
- وما هو النقد الموجه من قبل " ادوارد سعيد " لهذه النظرية؟

فرضية البحث: تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها إن (الفكر السياسي العربي، انبرى عبر كتابات العديد من مفكريه ومنظريه، وفي طليعتهم " ادوارد سعيد " لتوجيه سهام النقد لنظرية صدام الحضارات لصموئيل هانتنغتون وذلك بغية كشف هشاشة ما قامت عليه من منطلقات ورؤى فكرية، وكشف زيف ما حوته من معلومات خاطئة ومضللة عن العرب وحضارتهم الإسلامية)، ولأثبات هذه الفرضية قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التطور التاريخي لنظرية صدام الحضارات ومضامينها الفكرية.

المبحث الثاني: نقد نظرية صدام الحضارات في الفكر السياسي العربي.

المبحث الثالث : نقد نظرية " صدام الحضارات " في فكر " ادوارد سعيد

المبحث الأول

التطور التاريخي لنظرية صدام الحضارات ومضامينها الفكرية

أولاً: التطور التاريخي لنظرية صدام الحضارات:

تعد فكرة " الصراع " بحد ذاتها، أصلاً أصيلاً في الحضارة الغربية، التي ورثت هذه الفكرة من العصر اليوناني والروماني، اللذين سادت فيهما مفاهيم الصراع بدلالاتها المختلفة، كصراع الآلهة، وصراع القوة والضعف، وصراع الخير والشر، وصراع الإنسان مع الطبيعة، كما عكست التوراة التي يؤمن بها اليهود وطائفة من المسيحيين في الغرب بعض وجوه الصراع، وخاصة بعد الدور الذي قام به اليهود من إقحام الصراع في الفكر الديني والفلسفي مما جعله جزء لا يتجزأ من الفكر الأوربي ومن الحضارة الغربية [١]،فبحسب رأي الكثير من المفكرين والباحثين، فإن الغرب لا يفهم ولا يعي ذاته إلا من خلال نفي الآخر المغاير له، أو ما يسمى إثبات ذاته عن طريق إلغاء العدو المختلف عنه، وفي هذا يقول محمد عابد الجابري (إن العقل الأوربي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي، وهذا شيء معروف في الفكر الأوربي منذ القدم، ففي الفلسفة اليونانية لم يستطع برمينيدس الكلام عن الوجود إلا من خلال طرح اللاوجود ولا الحديث عن المتناهي إلاّ من خلال "اللامتناهي ". وعندما قام تلميذه زينون الأيلي للدفاع عن أطروحاته بنى حججه على فكرة: (إن كل سلب تعين)، وسيأتي سبينوزا في العصر الحديث ليؤكد العكس فيقول: (إن كل تعين سلب)، ولم يفعل هيجل شيئاً سوى أنه جمع بين فكرة زينون وفكرة سبينوزا ليؤسس الديالكتيك عليهما : كل تعين سلب وكل سلب تعين، وهذا النوع من الترابط بينهما هو الذي يصنع التركيب)[٢].

ولم يخرج كل من دارون وماركس عن هذا الاطار، فالفلسفة الداروينية عن النشوء والارتقاء قامت على صراع الأحياء، ونسخ القوي للضعيف باعتباره الأصلح، والفلسفة الماركسية عن الصراع الطبقي قامت على نسخ الطبقة الجديدة للطبقة القديمة عبر قهرها والحلول محلها[٣].

هذه الأفكار تعد بمثابة حجر الأساس في تقبل ورواج نظرية **" صدام الحضارات " فيما بعد**، إذ تحدث "أرنولد توينبي "عن صدام الحضارات في كتابه " الحضارة في الميزان " حيث

---

(١) محمد سعيد القطع، اثر نظرية صدام الحضارات على الحوار الإسلامي –المسيحي، جامعة قطر،(كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،٢٠٢١)، ص٨٧ -٨٨.

(٢) محمد عابد الجابري، مسالة الهوية : العروبة والإسلام... الغرب، سلسلة الثقافة القومية (٢٧)،(قضايا الفكر العربي (٣)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥)، ص١٨٣-١٨٤.

(٣) ايمن ذيب محمد بو هنيه، نظرية صدام الحضارات : دراسة نقدية ورؤية إسلامية،(فلسطين، جامعة القدس، ٢٠١٠)، ص٦.

وضعه جواباً لسؤال مفاده: ما أبرز حادثه يقع عليها اختيار مؤرخي المستقبل بناء على قراءتهم للعصر السابق لعصرهم – القرن العشرين – الذي عاصره توينبي على اعتبار أنه سيصبح ماضياً لأولئك المؤرخين؟

واعتقد توينبي أن الإجابة ستكون " صدام الحضارات " من خلال تصادم الحضارة الغربية بسائر الحضارات الأخرى[١]، كما اعتقد توينبي إن صدام الحضارة الغربية سيُبرر باعتباره الخطوة الأولى لتوحيد العالم ضمن مجتمع واحد، فيبرر توينبي للحضارة الغربية ذلك الصدام مع الحضارات الأخرى مستقبلاً، لأنه يرى أن هدف الحضارة الغربية نبيل، لأنها تسعى إلى توحيد الجنس البشري في مجتمع واحد تحت راية الحضارة الغربية، ويعد ذلك من مستلزمات الحياة الإنسانية فهو سنة من سنن الطبيعة.

لقد أظهر توينبي موافقة على تلك السيادة، وهي أن يتوحد العالم تحت راية الغرب وفكره، ولم يشر إلى أن التنوع هو السنة الطبيعية للكون، والاختيار من حق تلك الشعوب، وهو بذلك يؤيد الهيمنة الغربية باعتبار أن الحضارة الغربية هي المتفوقة، والأجدر أن يتوحد العالم تحت رأيتها، وهذا الاعتقاد يبرز بوضوح تام فكرة الاستعلاء الغربي[٢].

إن أهم ما يلفت الانتباه على متبنيات " توينبي " الفكرية، هو إنه أولى الدين في الحضارات أهمية كبرى، إذ عدهُ بمثابة الروح المغذية لجميع الحضارات وسبب قوتها واستمراريتها، وعد ما قام به العثمانيون من توسع في القارة الاوربية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، كان بدافع ديني، وهو المرحلة الأولى لبدء الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في العصر الحديث[٣]، لذلك قاد التحسب لمثل هذا الخطر " ارنولد توينبي" إلى التحذير من مغبة ظهور الصحوة الإسلامية، فيقول في كتابه " الحضارة في الميزان " : (صحيح إن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حساباتنا أن النائم قد يستيقظ إذا ما انتفضت البروليتاريا – ويقصد بهم فقراء المسلمين – ضد السيطرة الغربية، وإذا ما نادت بزعامة معادية للغرب، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام،

(١) ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة : فؤاد محمد شبل، تقديم : عباده كحيلة، (ج٤، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١)، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) حمده مفتاح عيسى التميمي، مقاربات نقدية لنظرية صدام الحضارات في السياق الإسلامي، (جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٢٢)، ص ٢٥-٢٦.

(٣) ارنولد توينبي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٨-٣٠٩.

فالإسلام يمكن أن يتحرك ويقوم بدوره التاريخي إذا تغير الوضع الدولي)[١]. وبذات الاتجاه - وعلى نحو مقارب لما ذهب اليه توينبي - أشار "برنارد لويس " الذي أسهم بصورة فعالة في إشاعة فكرة " صدام الحضارات " في نهاية القرن العشرين من خلال مقالته المعروفة بـ" جذور الغضب الإسلامي " والمنشورة في مجلة " الأتلانتيك مونتلي" في عام ١٩٩٠، والتي تعد الملهم الأساس لـ "هانتنغتون " لكتابة أطروحته " صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي "، أشار أنه (ينبغي أن يكون واضحاً الآن، إننا نواجه شعوراً وحركة يتجاوزان كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسدها، ولا يقل عن كونه صداماً بين الحضارات، فإنه رد فعل غير عقلاني ولكنه مرتبط بخصم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي ولما نحن عليه في الحاضر وضد توسعها معاً)[٢]. وأشار " لويس " في هذا المقال أيضاً إلى أن (الإسلام عرف فترات نفخ فيها روح الكراهية والعنف بين اتباعه، ومن سوء حظنا فإن جزء من العالم الإسلامي لايزال يرزح تحت وطأة هذا الميراث، ومن سوء حظنا أن غالبية هذه الكراهية والعنف ضدنا في الغرب.. ضد ميراثنا اليهودي المسيحي وضد حاضرنا الراهن وضد امتدادهما العالمي)[٣].

إلى ذلك، وضمن ذات متلازمة العداء للإسلام، وبعد انتهاء الحرب الباردة استبدل القائد الأعلى السابق لحلف الناتو " جون كالفان " الإسلام بدل الحلف الاشتراكي كعدو بديل، فقال عام ١٩٩١ م: (عرف هذا القرن الذي يشرف على الأفول أطول مواجهة بين الغرب والإسلام، طالت أكثر من " ألف " سنة امتدت منذ الحروب الصليبية إلى العصر الحديث، وبعد أن أنهى الغرب الحرب الباردة، ها هو الصراع يعود بالنسبة له الى محوره الرئيسي، ألا وهو المجابهة مع الإسلام[٤].

فيتضح إن الغرب في تعامله مع العالم الإسلامي محكوم ومأسور بمحددات وأطر ثقافية ذات نوعين، أولهما: موروث مستقر في ذاته وموصول بمركزتيه الثقافية. وثانيهما: متأت من مقدرة الثقافة الإسلامية على ابداء الممانعة الفعالة لتغدو في المحصلة مؤثرات خارجية تستحضر النوع الأول خاصةً مركزيته الدينية، لذلك لا مناص من سيطرة تاريخ عداوة ديني مترسب لدى

(١) علي محمد علوان، الاستعمال الأيديولوجي للثقافة (صدام الحضارات أنموذجاً)، البصرة، (منشورات اتحاد الادباء والكتاب، ٢٠١٧)، ص ١١٤.

(٢) ايمن ذيب، مصدر سبق ذكره، ص٨.

(٣) برنارد لويس، الإسلام الاصولي في وسائل الاعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤)، ص ١٠.

(٤) ايمن ذيب، ص ٨.

الغرب المركزي في تناوله لمعطيات العلاقة مع المسلمين[١].

وبحسب قول أحد الباحثين، فإنه وفي (ظل وجود تلك المهيمنات التاريخية والحضارية بين العالمين المسيحي والإسلامي لم يكن سهلاً على المسيحيين " الغربيين " أبداً أن يغيروا من نظرتهم إلى ذواتهم والى المسلمين على السواء، وأن ينسلخوا من ذاكرة التاريخ، وأن يتجردوا من أعباء معركة بواتيا التي تذكرهم بالمحاولة الإسلامية قبل أكثر من الف عام عبر فرنسا بهدف " أسلمة أوروبا " وكذلك الحصار العثماني لمدينة فينا في العام ١٥٢٩)[٢].

لقد دفعت تللك المهيمنات التاريخية والحضارية , أضافةً إلى ظروف انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي وبقاء الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد في العالم، دفعت باتجاه أن تأخذ نظرية " صدام الحضارات " على يد " صموئيل هانتينغتون " [*] منحى آخر، إذ دخلت حيز التسييس والتفعيل والاهتمام الأكاديمي الواسع، وذلك بلحاظ ما كان يتمتع به هانتنغتون من نفوذ سياسي بارز بحكم كونهِ كان مسؤولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي الأمريكي إبان عهد الرئيس جيمي كارتر، لذا يعد هانتنغتون " المحرك الروحي " لهذه النظرية في الوقت الحالي برغم ما سبقه من محاولات لمفكرين تناولوا نفس المعنى بشكل أو بأخر، وهذا ما سيأتي بيانه والإحاطة به في ثنايا هذه الدراسة.

(١) علي محمد علوان، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥-١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٦.

(*) :صموئيل هنتنغتون : مفكر سياسي امريكي واستاذ في جامعة هارفارد لأكثر من خمسين عاماً، ولد في عام ١٩٢٧ بمدينة نيويورك، وتخرج في جامعة يال بولاية كونيكت، وحصل على درجة الماجستير في جامعة شيكاغو عام ١٩٤٨، ودكتوراه الفلسفة في جامعة هارفارد عام ١٩٥١، عرف بتأييده للحزب الديمقراطي حيث تولى ١٩٦٨ منصب مستشار في السياسة الخارجية لهوبرت هامفري في حملته الانتخابية للرئاسة عام ١٩٦٨، واشتغل عامي ١٩٧٧و١٩٧٨ في منصب منسق التخطيط الأمني بمجلس الأمن القومي في إدارة الرئيس جيمي كارتر، ثم عين عام ١٩٨٠ في اللجنة الرئاسية للاستراتيجية المندمجة طويلة الأمد، انجز اكثر من تسعين بحثاً، منها ١٧ كتاباً – بعضها بالمشاركة مع اخرين – أبرزها « صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي « الذي ترجم الى (٣٩) لغة عالمية. توفي في ديسمبر ٢٠٠٨ بولاية ماساشوست الأميركية.

ثانياً: المضامين الفكرية لنظرية " صدام الحضارات " :

أخذت نظرية " صدام الحضارات " منحاً أخر على يد " صموئيل هانتنغتون "، وذلك على خلفية قيامه عام ١٩٩٣ بنشر مقال في مجلة " الشؤون الخارجية الأمريكية " يحمل ذات العنوان " صدام الحضارات " والذي كان قد تلقفه من استاذه برنارد لويس الذي طرحه في مقالته المعروفة بـ " جذور السخط الإسلامي "، ومما ساعد أيضاً على انتشار هذه النظرية بشكل أوسع، هو قيام هانتنغتون بتحويل هذه المقالة إلى كتاب يحمل نفس العنوان " صدام الحضارات " نشرهُ في عام ١٩٩٦.ناقش من خلاله تلك النظرية بشكلٍ مفصل، ووضع فيها تصوراً للنظام العالمي الجديد يقوم على أساس الصراع والتصادم بين الحضارات المختلفة بعد الحرب الباردة،و مؤدى تلك النظرية ومضامينها الأساسية يمكننا بيانها والإحاطة بها على نحو عام في سياق ثلاث محاور رئيسة :

المحور الأول: فرضية النظرية:

تقوم نظرية " هانتنغتون " على اعتبار أن السياسة العالمية ستشهد طوراً جديداً من أطوار الصراع، تكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيسي فيه، فيحل الصراع الثقافي أو الحضاري بدل الصراع فيما كان يعرف بالحرب الباردة، فقال (والفرض الذي اقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد، لن يكون مصدراً ايديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدراً ثقافياً، وستظل الدول هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات مختلفة وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك إن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل)[١].

ويرى " هانتنغتون " أن الشعوب أصبحت تميل إلى التأكيد على ثقافتها، وتحديد هويتها، فباتت تعرف من خلال النسب العرقي، والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات، وتنحاز إلى الثقافات القريبة التي يوجد بينها وشائج مشتركة، أي تنحاز ضمن الثقافة الأوسع في معانيها[٢]، وأضاف هانتنغتون (إن الصراع بين الحضارات سيكون آخر مرحلة في سلسلة الصراعات العالمية،فقد أنتهى طور الصراعات بين الأفراد والأباطرة والملوك، مع بداية الثورة

(١) صموئيل هانتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة : مالك أبو شهيوه ومحمود محمد خلف،(ط١، مصراته، الدار الجماهيرية، ١٩٩٩)، ٦٣-٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤.

الفرنسية، ودخل طور الصراع بين الشعوب، وفي سنة ١٩١٧ ونتيجة للثورة الروسية حل صراع الأيديولوجيات الذي أستمر إلى نهاية الحرب الباردة، وهذه الصراعات تشترك كونها داخل الحضارة الغربية، لتنتقل السياسة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين حضارة الغرب والحضارات الأخرى)[١].

أهم ما يميز نظرية " هانتنغتون " هو محاولتها التخلص من فلسفة الحتميات والنهايات الأخيرة كالتي جاء بها أحد أبرز الكتّاب المعاصرين له ألا وهو الكاتب الياباني الأصل الأمريكي الجنسية " فرنسيس فوكا ياما " في أطروحته " نهاية التاريخ والأنسان الأخير" حيث قدم الأخير من خلال أطروحته، قراءة عن عالم ما بعد الحرب الباردة وما يترتب عليه من أنظمة وسياقات، تبعث على الاطمئنان لمستقبل الولايات المتحدة بتأكيدها على الانتصار النهائي لليبرالية، في حين تشير أطروحة " صدام الحضارات " إلى ما هو مستقبلي، وتحذر من خطر المواجهة والحرب المحتملة، وتدعو صراحة إلى الحيطة والتحسب والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي.اذ ترك سقوط الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى أثاره على المستوى الفكري، مما ترتب على ذلك استبدال معظم القوالب والمصطلحات السابقة والعائدة الى فترة عالم الحرب الباردة التي حكمت عليها الوقائع الجديدة بالانقراض[٢].

وفي محاولة جريئة لسد الفراغ النظري الكبير برزت مقولة " صدام الحضارات " معبرة عن تصور مستقبلي آخر جديد، راسمة معالم خريطة جديدة للعالم قائمة على هندسة حضاراتيه جديدة، متخطية مقولة " نهاية التاريخ " مانحة عجلة الكولينالية أو ما بعد الكولينالية مبررات جديدة للصراع لم يتمكن فوكا ياما من توظيفها[٣].

معنى هذا إن العلاقات بين الحضارات في عالم ما بعد الحرب الباردة، لن تكون علاقات سلمية، تعاون أو شراكة، بقدر ما يميزها نوع من العداء والعنف والتباعد[٤]، وعلى وفق ذلك، وحسبما يقول هانتنغتون، فقد تغير السؤال التقليدي : إلى أي جانب أنت ؟ ليحل محله السؤال: منَ أنت؟ ولذلك بات على كل دولة أن تجد له أجابه، هذه الإجابة في هويتها الثقافية التي تحدد مكان الدولة في السياسة العالمية، كما تحدد أصدقائها وأعدائها[٥]، فالاتحاد أو التعاون يحدده التماثل الثقافي، في حين إن الصدام يحدده التمايز والاختلاف الثقافي للحضارات[٦].

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٢١-١٢٢.
(٢) علي محمد عطوان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨
(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.
(٤) لعموري شهيده وزروخي إسماعيل، الصدام الحضاري وصناعة الأعداء (صموئيل هانتنغتون نموذجا)، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، (الجزائر، العدد ٢٤، جوان ٢٠١٦)، ص ٣٠٢.
(٥) صموئيل هنتنغتون،(مصدر سبق ذكره)، ص ٧٣.
(٦) لعموري شهيده وزوخي إسماعيل، (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٠٢.

المحور الثاني : تقسيم هانتنغتون للعالم

قسم هانتنغتون العالم إلى سبع أو ثمان حضارات كبرى معاصرة وهي:

١. الحضارة الصينية.
٢. الحضارة اليابانية.
٣. الحضارة الهندية[١].
٤. الحضارة الإسلامية، التي تنتمي اليها قوميات العرب والأتراك والفرس والملايو[٢].
٥. الحضارة الأرثوذكسية،التي تتمركز في روسيا.
٦. الحضارة الغربية، التي تتمركز في كل من أوربا وأمريكا الشمالية وبعض الدول التي استوطنها بعض الأوربيون كأستراليا ونيوزيلندا [٣].
٧. الحضارة اللاتينية، التي تشمل دول أمريكا الوسطى والجنوبية، وغالبية هذه الدول كاثوليكية.
٨. وأخيراً الحضارة الإفريقية[٤].

وبالرغم من هذا التقسيم المذكور أعلاه، إلا أنه يمكننا القول إن هانتنغتون يجعل العالم بمعنى ما عبارة عن عالمين فقط، هما: العالم الغربي الذي يشكل الآن الحضارة المهيمنة، وبقية العالم الآخر[٥]. على هذا النحو يعيد " هانتنغتون " انتاج " امبراطورية الشر " الاسم المتكرر للاتحاد السوفيتي في حينه بشكل جديد أكثر تجريدا،هذه المرة أو أكثر صعوبة في التحديد، إنه العدو المثالي للنيوليبرالية : شبح لا يمكن امساكه حقاً، وقابل للتشكل وإعادة التشكل كل مرة،إزاء ذلك ينصح هانتنغتون الغرب بمواجهة هذه التحديات ضمن مستويين، الأول : مستوى المدى القصير، حيث ينصح " هانتنغتون " الغرب بتوحيد عالمه الحضاري، وتجهيز كل أدوات الصراع من آلة الحرب إلى الاقتصاد إلى السياسة، إلى الثقافة، إلى القيم، إلى المؤسسات الدولية، وتركيز الصراع ضد الحضارة الصينية والإسلامية [٦]، أما المستوى الثاني، فهو مستوى المدى الطويل، الذي ينصح به " هانتنغتون " الغرب، بعد الفراغ من كسر شوكة الحضارة الإسلامية والصينية، باحتواء بقية الحضارات غير الغربية، تلك التي نجحت

(١) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)، ص ١٠٩-١١٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١١.
(٤) المصدر نفسه،ص ١١٣.
(٥) شهوب حكيمة و امال مرسدي، الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام (إشكالية المفهوم)، (مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٧، العدد ٢، ماي ٢٠٢٣)، ص ٧٠٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٧٠٤.

في تحديث مجتمعاتها عسكرياً واقتصادياً وهي الحضارات التي سبق وحيّدها الغرب في المرحلة الأولى من هذا الصراع، وذلك ليتحقق للغرب الانتصار الأعظم من هذا الصراع، منفرداً بالقوة والهيمنة على العالم دونما شريك[١].

يتضح جلياً، إن « هانتنغتون " يرفض التعددية الثقافية وإمكانية وجود ثقافات كونية أخرى غير الثقافة الغربية، محاولاً المباعدة بين حضارته والحضارات الأخرى، فنجده لا ينظر للعالم إلاّ ضمن ثنائية الـ « نحن « والـ «هم» والتي تجعل من الأخرين موضوعات للغرب[٢].

المحور الثالث: نظرة " هانتنغتون " للإسلام والمسلمين:

عرفنا فيما مضى أن "هانتنغتون " لا ينظر للعالم إلاّ ضمن معيار ثنائية الـ "نحن / الحضارة الغربية " والـ " هم / الحضارات الأخرى "، وعد الحضارات الأخرى تشكل مصدر خطر حقيقي على حضارته، وتبعاً لذلك فان طبيعة العلاقات بين تلك الحضارات _ الغربية وغير الغربية _ سوف لن تكو سلمية / تعاونية بقدر ما تكون علاقات ذات طبيعة عدوانية / تصادمية.

على هذا الأساس، قام هانتنغتون في نظريته بوضع تصنيف ثلاثي للعلاقة العدائية بين حضارته " الغربية " والحضارات الأخرى، وهو كما يلي :

١. حضارات التحدي (المعادية): وتتسم علاقة تلك الحضارات بالحضارة الغربية بالعداء والتوتر، وعد هانتنغتون الحضارة الإسلامية هي العدو الأول والأخطر بدعم من الحضارة الصينية.

٢. الحضارات الضعيفة: متمثلة بالحضارتين الأفريقية واللاتينية، وهي أقل الحضارات عدائية وذلك لاعتمادها في تغذية أغلب نشاطاتها على الحضارة الغربية.

٣. الحضارات المتأرجحة (المتذبذبة): وهي تلك الحضارات التي تتأرجح في علاقاتها مع العالم الغربي والحضارات الأخرى بين صدام وتعاون، ومن أمثلة تلك الحضارات: اليابانية والهندية [٣].

ويرى هانتنغتون أن خطر الحضارة الإسلامية يفوق باقي الحضارات، ووضعها في المرتبة الأولى من الحضارات المعادية للحضارة الغربية بدعم من الحضارة الكونفوشيوسية [٤]، بل وتحامل هانتنغتون على المسلمين كثيراً عندما قال: (إن للمسلمين علاقات عدائية وعنيفة

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠٥.

(٢) غيداء فضل عاشور، خطاب الاستعلاء الحضاري واثره في الحوار الغربي – الإسلامي، (جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٢١)، ص ٤٠.

(٣) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)، ص ٢٣.

(٤) حمده مفتاح عيسى، (مصدر سبق ذكره)، ص ٦٤.

وحدود دموية على طول محيط الاسلام ولديهم مشاكل للعيش بسلام مع جيرانهم) [١].

إن كلام " هانتنغتون " هذا لا يشكل رمزية تاريخية فحسب، بل له خطورته، فهو يقوم بتجريم الإسلام وتحميله مسؤولية الصدامات والحروب التي شهدها منذ ظهور ما اسماه هانتنغتون بخطر التوتر الممتد من أوربا الغربية إلى الشرق الأوسط عبر البلقان إلى أفريقيا وأسيا [٢]، والحقيقة إن المتأمل في أطروحة " صدام الحضارات " يدرك بسهولة إن انهيار الاتحاد السوفيتي ترك فراغاً ايديولوجياً بالنسبة للغرب، حيث كان العدو السوفيتي يؤدي وظائف إيجابية وذات أهمية بالنسبة للغرب، سواء من حيث الشعور والوعي بالهوية الموحدة أو حتى بالنسبة للإستراتيجية الاقتصادية والعسكرية، أما بفقدان العدو فقد تأججت هواجس الانفصال ودخل الغرب في أزمة وأصبح لا يخشى التهديد الخارجي فحسب، بل التهديد من الداخل ومن عمق المجتمع الغربي ذاته، وفي هذا يبين ايرفنغ كرستول : (لقد ربحنا الحرب الباردة وهذا جيد... ولكن هذا يعني أن العدو بعد اليوم ليس هم بل نحن)[٣]، وبهذا فان غياب العدو انعكس سلباً على الأنا الغربي مما جعله يعيش حالة من القلق والخوف جراء هذا الفراغ الذي خلق غموضاً في تحديد هويته، إذ لم يعد العدو واضح المعالم وبوجه واحد، وهو ما عبر عنه "كريستوف ريفان " في قوله : (لقد أصبنا بخوف شديد، انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كنا نعتمد عليه كثيراً منذ ٤٥ سنة من أجل تخويف أنفسنا، أدخل الديمقراطيات في كآبة كبيرة) [٤].

إن انتهاء الحرب الباردة كان بالنسبة للغرب ولأمريكا سلاحاً ذو حدين، فهو انتصار لليبرالية الديمقراطية من جهة، وهو فراغاً ايديولوجياً من جهة أخرى، وهو ما جعل الحاجة ملحة وضرورية للبحث عن عدو جديد، قد يكون على شكل صورة واحدة أو عدة صور، عدواً جديد يكون محفزاً لخلق الانسجام والوحدة للدول الغربية، ووسيلة للحفاظ على هويتها ورسم إستراتيجيتها في مقابل خصم عنيد وقوي.

ويبدو أن الغرب وجد ضالته في الإسلام كحضارة وثقافة ودين، إذ عده هانتنغتون خطراً على الغرب بما يحمله من قيم لا تستطيع المنظومة القيمية الغربية أن تستوعبها أو تحتويها،

(١) صموئيل هنتنغتون،(مصدر سبق ذكره)، ٤٤٠.

(٢) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر : العولمة، صراع الحضارات، العودة الى الاخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، (ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧)، ص ١١٨.

(٣) محمد السعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، (ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨)، ص١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

مما يجعل حالة الصدام أكيدة، بهذا الصدد يقول هانتنغتون إن (الحرب الباردة الجديدة ستكون بين الإسلام والغرب، ذلك إن التقاليد الفكرية والثقافية للتراث اليهودي والمسيحي تمثل التقدم والتنوير والعقلانية، على عكس العالم الإسلامي الذي يمثل الشر والظلمات واللاعقلانية والتعصب)[١]، بل ذهب هانتنغتون إلى أبعد من ذلك، فهو على الرغم من إقراره بوجود " الأصولية " في مختلف الديانات، إلاّ انه جعل (المشكلة الأساسية بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، بل هو الإسلام ذاته، كحضارة مختلفة معتنقوها مقتنعون بتفوق ثقافتهم ومهووسون بضعف قوتهم، المشكلة بالنسبة إلى الإسلام ليس هو مركز المخابرات الأمريكية أو وزارة الدفاع، بل هو الغرب كحضارة مختلفة ممثلوها مقتنعون بكونية ثقافتهم ويعتقدون إن قوتهم وهيمنتهم تمنحهم واجب نشر ثقافتهم عبر العالم)[٢]، فإن هذا يدلل بوضوح إن هانتنغتون كان من جملة المشاركين في موجة الإسلاموفوبيا " التي اجتاحت الأوساط الفكرية والسياسية والإستراتيجية في الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي[٣].

المبحث الثاني: نقد نظرية " صدام الحضارات " في الفكر السياسي العربي

لم تلق نظرية صدام الحضارات القبول والترحيب على مستوى الفكر السياسي العربي الذي تعرض لنقدها وبيان هناتها على أكثر من وجه، ونحن هنا سنتعرض لأبرز تلك الانتقادات الموجهة اليها.

أولاً: نقد فرضية النظرية:

فيما مضى عرفنا أن نظرية " هانتنغتون " تقوم على فرضية أساسية مفادها: (أن المصدر الأساسي للنزاعات في عالم ما بعد الحرب الباردة سوف لن يكون مصدراً ايديولوجياً أو اقتصاديا في المحل الأول... بل سيكون مصدراً ثقافياً)[٤].

إن فرضية هانتنغتون هذه، وبالرغم من محاولته لإخراجها من حيز الافتراض النظري إلى حيز الحقيقة العلمية المبرهن عليها تاريخياً، إلاّ انها - وفقاً للفكر السياسي العربي – جاءت خاوية ومجانبة للصواب من الناحية العلمية والمعرفية، ففي معرض رده على نظرية هانتنغتون، يقول" زكي الميلاد" أن (مبعث هذه الفرضية هو أنهم في الغرب يقرأون التاريخ

(١) نقلًا عن : لعموري شهيدة وزروخي إسماعيل، ص ٣٠٤.
(٢) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)،ص ٣٨٣.
(٣) محمد السعدي، كتب وقراءات : صدام الحضارات،(مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٤٤، ١٩٩٩)، ص ١٧٦.
(٤) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)، ص ٦٤.

الإنساني من زاوية الصراع والصدام على مستوى الحضارات والأمم والشعوب والدول، لا من زاوية التعايش والتعارف والحوار والتعدد والتكامل... والشاهد ان العلاقات بين الحضارات في الماضي وحتى في المستقبل، لا يمكن أن تحكمها فرضية واحدة كفرضية الصدام بين الحضارات مثلاً) [١]، ويرى باحث عربي آخر، أن هذه الفرضية تنطوي على (أيديولوجيا تضليلية تبريرية في آن واحد، فهي تشكل الأرضية المثالية للدعاية النيوليبرالية في الداخل والخارج، من حيث أن عدوان الإمبريالية على الأخرين هو ضروري ومبرر للحفاظ بالمعنى الوجودي على الحضارة الهو / مسيحية في وجه الأخرين من الهمج الرعاع، كما تشكل الأرضية لتزوير الصراع عند المستهدفين من شعوب العالم الثالث من صراع على موارد وبشر وجغرافيا سياسية " صراع مادي " إلى صراع على أديان وحضارات)[٢] أي بمعنى، إن هانتنغتون يؤسس نظريته بالنظر إلى مصالح الغرب وضبط هيمنته على العالم وأن الدوافع التي ينطلق منها، هي دوافع سياسية قالبها مصالح الغرب في النطاق العالمي، ومن طبيعة هذه الدوافع أن تساهم في تعزيز الانقسام في العالم، وترسيخ الفروقات الخطيرة في المجتمع الإنساني [٣]، وبذلك، فإن هذا الأمر يعكس بروز ثنائية عالم هانتنغتون في هذا السياق حيث لا يأخذ النظام العالمي لديه شكلاً أحادياً أو متعدد الأقطاب، وإنما يقوم على واقع ثنائية هجينة، قوامها نظام أحادي / متعدد الأقطاب يضم قوة عظمى واحدة، وقوى أخرى في الطرف الأخر[٤].

وهكذا تستمر الحرب الباردة لكن هذه المرة بين الغرب من جهة وبقية العالم من جهة أخرى[٥].

إن فرضية هانتنغتون الحضارية الصدامية هذه تخفي داخلها فقراً فلسفياً واضحاً يبرز في قوله إن (الصراع في المستقبل سيكون بين الغرب وبقية العالم... وأن مصدر هذا الصراع سيكون ثقافياً)، إذ يعكس هذا التصور الافتراضي _ كما يقول أحد الباحثين العرب _:(تجاهلاً لما اخبرنا به التاريخ، من إن أعتى الصراعات التي اندلعت كانت داخل حدود الحضارات نفسها، وليس فيما بينها، والحربان العالميتان الأولى والثانية مثالان بارزان على ذلك)[٦]،كما

(١) علي عبود المحمداوي، الإسلام والغرب من صراع الحضارات الى تعارفها، (قراءة في إشكالية العلاقة)، (ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٠)، ص ٨٦.

(٢) شهوب حكيمة ومرسدي أمال، (مصدر سبق ذكره)، ص ٦٩٥.

(٣) علي عبود المحمداوي، (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٨.

(٤) علي محمد عطوان،(مصدر سبق ذكره)، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٦) احمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات،(ط١، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩)، ص ٣١

أن الزعم بكون مطلق الحروب حضارية الآن أو في المستقبل لا يعدو أن يكون سوى تخرص على المستقبل[١]، ومن ثم، يرى بعض المفكرين العرب من أمثال كلوفيس مقصود، أن نظرية هانتنغتون لا تتعدى كونها (ترفاً فكرياً يندرج في سياق ممارسات بعض الأكاديميين في الغرب من اللجوء الى افتعال القضايا الجدلية والأفكار المثيرة وذلك لكي يبقوا في حالة " التوظيف الفكري " أو القيام بدور " الوظيفة الفكرية) [٢].

ثانياً: نقد الخلل والاضطراب المنهجي للنظرية:

بالإمكان القول ان عدم التزام هانتنغتون معياراً واحداً في تصنيفه للحضارات جعل بناء نظريته في حالة من الضعف الشديد، فالحضارة الغربية نسبة إلى الموقع الجغرافي، والكونفوشيوسية نسبة إلى الفيلسوف كونفوشيوس، والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى المعيار الإقليمي والقطري، والحضارة السلافية الأرثوذكسية نسبة إلى العرق والدين معاً، والحضارة الإفريقية والأمريكية اللاتينية نسبة إلى معيار جغرافي قاري [٣].

ولهذا فإن تقسيم هانتنغتون لا يسير على نسق واحد، يقول الدكتور محمد سعدي، إن (أكبر خلل نظري تعاني منه الأطروحة يتعلق بمعايير وطبيعة تصنيف هانتنغتون للحضارات، حيث يتميز تصنيفه بالخلط الشديد بين مفاهيم متميزة كالحضارة، والدين، والانتماء الجغرافي أو الاثني) [٤].

إن تقسيم هانتنغتون للحضارات يتناقض مع المحددات والعوامل التي أكد عليها في التمييز بين الحضارات كاللغة والتقاليد والتراث والتاريخ والدين، وعلى هذا الأساس لا يفهم السبب في فصله بين أمريكا اللاتينية والحضارة الغربية، وفصله بين الارثوذكسية من جهة والكاثوليكية والبروتستانتية من جهة أخرى، كما لا يفهم تردده في اعتبار الحضارة الإفريقية وعدم الإشارة اليها إلا نادراً، ما يعني أن هانتنغتون أخفى العوامل الحقيقية في اعتماده لتصنيف الحضارات وهي تقوم على أسس القوة والموقع الإستراتيجي والنفوذ [٥].

كذلك فإن من أهم الانتقادات التي طالت أطروحة هانتنغتون من الناحية المنهجية، هو

(١) علي عبود المحمداوي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.

(٢) كلوفيس مقصود، العرب وعالم الجنوب وتحديات المستقبل، (مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢١٧، اذار ١٩٩٧)، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) ايمن ذيب، (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٣.

(٤) محمد السعدي، حول صراع الحضارات : حوارات ومقالات مختارة لصموئيل هنتنغتون، المغرب، (افريقيا الشرق،)٢٠٠٦، ص ٦٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٥.

لجوؤه إلى منهج انتقائي للأحداث التاريخية ووقائعها في مقتطفات جزئية، ليعممها على التاريخ الحضاري للبشرية في قراءته للمستقبل الذي إقامه على أساس التصادم بين الحضارات، ولاشك إن هذه الانتقائية تبعد كاتبها عن الموضوعية، إذ ينتقي من الأحداث ما يوافق فكرته دون الأخذ بالردود المتعارضة أو المختلفة والمتقاطعة معها.

ولعل أبرز ما يفضح منهج هانتنغتون الانتقائي هو تغاضيه عن ذكر اليهود حال مناقشته الصراعات الأثنية والدينية، فلم يضع احتمالاً للصراع بين الإسلام واليهودية التي يظهر احتمالها أكثر بروزاً في ظل قيام " الكيان الصهيوني " على أرض فلسطين وما صاحب ذلك من تعديات صريحة وفاضحة وبشكل مستمر على حقوق ومقدرات الشعب الفلسطيني[1]، وكذلك تغاضيه في معرض حديثه عن سيطرة القبلية على الإسلام عن حقيقة أن دولاً عربية لم تقم على الأساس القبلي مثل مصر والعراق.

فان هذا يعكس -بحسب عبدالله العليان – : (مدى الانفصامية عند هانتنغتون بين وضع المحلل الأكاديمي الذي تفترض فيه الموضوعية وبين هواجس عضو الحضارة الغربية الذي يشعر بأن حضارته في تدهور، الأمر الذي يجعله في النهاية ينزلق الى دور الداعية للحضارة الغربية ضد الحضارات الأخرى، ويأخذه بعيداً عن دور المحلل الأكاديمي الذي يهدف أكثر ما يهدف إلى التوازن في تمحيص موضوعه)[2].

ثالثاً: نقد النزعة العدائية للنظرية تجاه الحضارة الإسلامية:

من أبرز المآخذ التي سجلها الفكر السياسي العربي حيال نظرية " صدام الحضارات " هو أن هانتنغتون قدم تصورات خاطئة تجاه الحضارة الإسلامية لا سيما عندما عدها حضارة عدوانية وتمثل التحدي الأكبر والتهديد الأخطر للحضارة الغربية، هذه المآخذ بالإمكان إبرازها وبيانها على النحو التالي :

١. إن زعم هانتنغتون بأن انتهاء الحرب الباردة هو بسقوط الاتحاد السوفيتي يعد أحد العوامل التي من شأنها زيادة الصراع بين الحضارة الإسلامية والغربية ليكونا في مواجهة ثنائية عدائية، لا يعدو أن يكون - بحسب الفكر السياسي العربي – افتراضاً خاطئاً مجانباً للحقيقة، فالحضارة الإسلامية لم تبحث عن عدو بديل ليسد فراغ الاتحاد السوفيتي، إذ لم يكن الخلاف مع الاتحاد السوفيتي آيديولوجياً، بقدر ما كان اختلافاً دينياً، نظراً لرفض

(١) مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، مقدمة كتاب صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي لصموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)، ص١٥.

(٢) عبدالله العليان، صراع الحضارات: ماهي أسبابه، مجلة اراء حول الخليج، على الرابط الالكتروني: http:// araa. Sa/ index.php

الشيوعية الأديان واعتبارها " افيون الشعوب "، واضطهادهم للشعوب الإسلامية الواقعة ضمن أراضي الاتحاد السوفيتي وإجبارهم على الشيوعية ومنعهم من اختيار دينهم الإسلامي وممارسة فروضه وطقوسه وشعائره [١]، ومن ناحية أخرى، فإن دولاً في العالم الإسلامي كانت تحكم وفقاً للنظام الاشتراكي، وتربطها مع الاتحاد السوفيتي علاقات قوية قائمة على أساس المصالح وتبادل المنافع، أما عن عداء الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية للاتحاد السوفيتي فسببه آيديولوجي لتعارض النظام الرأسمالي مع النظام الاقتصادي الاشتراكي ورفضه لانتشاره داخل الاتحاد السوفيتي أو خارجه [٢]، ومن ثم فقد أخطأ هانتنغتون في تصوره أن العالم الإسلامي يسعى لإيجاد عدو يسد من خلاله الفراغ الذي خلفه الاتحاد السوفيتي بسقوطه، ويفترض هانتنغتون ان ذلك البديل قد تمثل في الحضارة الغربية.

٢. لقد صور " هانتنغتون " في نظريته العالم الإسلامي بأنه يشكل التهديد الأكبر والأخطر على الحضارة الغربية بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، منطلقاً من رؤية مفادها، أن الإسلام ينطوي على قيم لا تستطيع المنظومة القيمية الغربية أن تستوعبها أو أن تحتويها أولاً، وإن الإسلام أكثر الأديان صرامة خارج العالم المسيحي وإنه دين سيف وحروب ولا يوجد فيه تمييز بين الدين والدنيا والسياسة ثانياً، وإن هناك شعور عام لدى المسلمين بأن الغرب قهرهم وأستغلهم لفترة طويلة ثالثاً[٣]، وبلا شك، فإن هانتنغتون برؤيته هذه يؤكد فكرة " الإسلاموفوبيا / رهاب الإسلام " وذلك بهدف تكريس نظرة مرتابة بل عدائية من جانب الغرب – لاسيما وهو الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية – حيال الإسلام وأتباعه، وهو ما ينم، في واقع الأمر، عن معرفة سطحية بالإسلام وجهلاً صارخاً بحقيقته [٤].

يقول الباحث ايمن ذيب، معلقاً على ذلك، إن (هانتنغتون لم يكن موفقاً في هذا المنحى الادعائي التبسيطي والذي جعل فيه المسلمون وكأنهم وحدة واحدة في وجه الحضارة الغربية، فهم مجزؤون دويلات متعددة، يسوسهم قادة لا يأتمرون بما ترى شعوبهم، وتسودهم الأعراق واللهجات والاختلافات العديدة، كما يسودهم في الغالب النزاعات ولعله لهذا السبب قيل ان

(١) حمده مفتاح عيسى،(مصدر سبق ذكره)، ص ١٠٠

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٣) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٠- ٣٨٣.

(٤) لعموري شهيده، (مصدر سبق ذكره) ص ٣٠٥.

صيغة اسلام / غرب، صيغة ملتبسة وملغومة، فالتقابل فيها يتم بين مفهومين غير متكافئين) [١].

وعليه فان تلك الصورة التي رسمها هانتنغتون من خلال نظريته عن العالم الإسلامي، بعّدهِ عدواً للحضارة الغربية، لا تمت بأي صلة الى حقيقة ما يعيشه العالم الإسلامي اليوم من واقع تجزئة وانقسام لا يمتلك فيه المسلمون، دولة مركزية تقودهم في مواجهة الحضارات الأخرى [٢].

٣. لقد أتخذ هانتنغتون العنف حجة على لا ديمقراطية الإسلام، وعد الحروب التي خاضها المسلمون عبر التاريخ عنفاً غير مبرر، مختزلاً الإسلام بالعنف والقتال، وإن العنف لا يتعلق بالمسلمين وإنما بالإسلام نفسه [٣]، وهنا نجد أن الفكر السياسي العربي يعد أن ما طرحه هانتنغتون من اتسام الحضارة الإسلامية بالعنف دون غيرها مجرد ادعاءات باطلة لا وزنَ ولا قيمة له، اذ لا يخفى على احد ان الغرب جلب اكبر الحروب دمويةً ودماراً على الإنسانية ولا سيما الحربيين العالميتين الأولى والثانية [٤]، وعلى أساس ذلك فإن الناظر إلى تاريخ الصراعات قديماً وحديثاً يجد أن الصراعات ليست حكراً على شعب أو دولة أو جهة، فكما خاض المسلمون صراعات داخلية وخارجية، خاضها الغرب كذلك، فهي ليست خاصة بالمسلمين كما حاول هانتنغتون أن يصورها [٥].

٤. من المؤكد، إن تفجيرات ١١/ سبتمبر/ ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية والتي أسندت إلى تنظيم القاعدة، دفعت العديد من الساسة الغربيين ولا سيما الأمريكان، من أمثال الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأبن، إلى إضفاء مصداقية على تنبؤات " هانتنغتون " حول الخطر الإسلامي المزعوم، وبدأ كما لو أن موجة الهجمات الأمريكية على البلاد الإسلامية عززت نظريته في الصدام الحضاري بين الإسلام والغرب[٦]، إلاّ أن واقع الحال ينفي ذلك، فالصدام الحقيقي هو ذلك الذي بين الولايات المتحدة الأمريكية والقاعدة والحركات الإسلاموية المتطرفة وليس بينها وبين الإسلام، إذ لم نشهد ولا حتى بلد واحد من البلدان التي يعيش فيها أغلبية مسلمة تعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية،

---

(١) ايمن ذيب،(مصدر سبق ذكره) ، ص ٤٣.

(٢) سليمان إبراهيم العسكري، ماذا تبقى من نظرية صدام الحضارات، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد ٥١٨، على الرابط الالكتروني : http : // arabi. Nccal.gov

(٣) عمار جمهور، أطروحة صدام الحضارات لهنتنغتون بين الخرافة والواقع، على الرابط الالكتروني : http: //www.ultrasawt.com

(٤) المصدر نفسه

(٥) ايمن ذيب،(مصدر سبق ذكره)، ص ٤٦.

(٦) محسن ديانت، نظرة على نظرية صدام الحضارات بمناسبة احداث ١١ سبتمبر،(جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٥)، ص ٨٨.

ولا شهدنا تشكل تحالف إسلامي ضد الولايات المتحدة [١].

وفوق ذلك كله، فإن هانتنغتون كان مخطئاً حينما زعم أن الدين هو العامل الحاسم في الحروب، ما من شك في إن الدين يستخدم كأداة ولكنه بحد ذاته ليس المستهدف والأساس، وهذا ما أكده أحد الباحثين عندما قال: إن (نظرية هانتنغتون انهارت في سوريا، حيث فندت شبكة التحالفات التي برزت أثناء الأزمة السورية التي اندلعت ف عام ٢٠١١ نموذجه الحضاري، وأكدت إن المصالح الجيوسياسية والاقتصادية تأتي في المقدمة وليس الاعتبارات الثقافية)[٢].

٥. لقد قدمت نظرية " هانتنغتون " صورة أخرى عن الغرب غير الصورة العلمانية المعهودة، فهذا الغرب الذي يوصف بانه نموذج للديمقراطية ويحتل الفضاء الأكثر تقدماً علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً وعسكرياً في العالم، لا يفصل في نهاية المطاف بين السياسة والدين ويتعامل مع العالم غير الغربي انطلاقاً من معايير دينية، وهكذا بشرّ هانتنغتون بنظرية تعود بالمجتمع البشري إلى عهد الحروب الصليبية، وبتصور ديني للعلاقات الدولية يقوم على مبدأ الحرب [٣] متجاهلاً بذلك حقيقة إن الأديان لا تصنع الحروب ولكن استخدام الساسة لها قد يصنع الحروب، كما إن الحضارات بما فيها الحضارة الإسلامية ليست عدوانية بطبيعتها وإنها توجه باتجاهات عدة وفق الدويلات الحاكمة لها، كل حسب توجهاته ومصالحه [٤].

٦. لقد أغفل هانتنغتون، كما يقول عامر فخير، نقطة مهمة ألا وهي إن (الإسلام ليس فرد بل هو دين يدخل القلوب والعقول ولو كانت في بروج مشيدة، وعليه فمن الخطأ إعلان العداء للإسلام والكثير من المجتمعات الأوربية والأمريكية تعتنق الإسلام، أي أن الإسلام لا يرتبط بالعرب أو الأسيويين، ومن هنا فان الأخذ بنظريته سيعني أن شعوب أوروبا والولايات المتحدة ستدمر نفسها بنفسها)[٥].

---

(١) بيتر او برون، بعد خمسة وعشرين عاماً تم تفنيد نظرية صدام الحضارات لهنتنغتون، على الرابط الالكتروني :
http:// arabizi.com

(٢) المصدر نفسه

(٣) سعيد حفظاوي، العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار في عالم ما بعد الحرب الباردة، (الجزائر، جامعة باتنه، ٢٠١٨)، ص ٢٤٦.

(٤) ايمن ذيبه، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.

(٥) عامر افخير، قراءة لنظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون – دراسة نقدية، (مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، العدد الثاني، كانون الأول ٢٠٢٠)، ص٣٥.

رابعاً: نقد النزعة المركزية الغربية للنظرية:

بالرغم من اعتراف " هانتنغتون " بالتعدد الحضاري وتقسيمه للعالم الى عدة حضارات، إلا أنه سرعان ما تدارك الأمر ليقوم بتصنيف ثنائي للعالم: الغرب من جهة / وبقية العالم من جهة أخرى [١]، ومن ثم فإن هانتنغتون قسم المجموعة الدولية بين غرب يجسد الخير والقيم الكونية من جهة، وباقي العالم المنشغل بمجابهة الغرب من جهة ثانية.

ولم يكتفِ" هانتنغتون "بذلك، بل ذهب إلى تأكيد إن الحضارة الغربية فريدة من نوعها وإن لها خصائصها التي تجعلها متميزة عن سائر الحضارات الأخرى كالفردانية والتعددية والحرية... وبأنها ميزات لصيقة بالغرب دون سواه من الحضارات الأخرى.

من هنا يرى العديد من المفكرين والباحثين العرب، أن طرح نظرية " الصدام الحضاري " جاء للتأكيد على النزعة المركزية / الاستعلائية الغربية التي تجعل من الحضارة الغربية نزاعة لإلغاء الآخرين عبر مصادرة ذاتيتهم وخصوصيتهم وهويتهم وتميزهم[٢].

وكما يقول – سعيد بنسعيد العلوي – فان (هانتنغتون باعتقاده بوجود شعوب ذات حضارة، وشعوب أخرى " بدائية " أو لا حضارة لها بالجملة... يكون قد وقع في شرك نظرية " الجنس الصافي " والأجناس الدونية) [٣]، وهذا بالتأكيد ما جعله ينظر إلى الآخر "غير الغربي" نظرة عدوانية تستدعي سحقه واستعماره واسترقاقه واستنفاذ جميع طاقاته[٤]، وذلك لأجل الحفاظ على تفوق حضارته- الغربية - واستمرار هيمنتها وسيادتها على الآجرين، ومن ثم يبدو واضحاً أن هانتنغتون قد سيطرت عليه الفكرة القديمة والخطيرة التي تحكم العقل الغربي الذي لا يضع نفسه موضع التكامل مع أمم العالم، بل يرى ذاته في جانب وكل الحضارات غير الغربية في جانب آخر، وهي ما يعبر عنها بفكرة " تضخم الأنا الغربي"، والتي جسدها هانتنغتون في وقتنا الحاضر خير تجسيد في إطار أطروحته " صدام الحضارات " [٥].

---

(١) سعيد حفظاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٢) محمد عماره، الحضارات العالمية تدافع ام صراع، (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٨)، ص ٦

(٣) سعيد بنسعيد العلوي، المركزية الفكرية الغربية في ميزان النقد، مجلة الإسلام اليوم، تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الايسيسكو «،(الرباط، العدد ٢٨، السنة)٢٠١٢، ص ٩٤.

(٤) سعيد حفظاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٥.

(٥) زكي الميلاد، المسالة الحضارية : كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، (ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩، ص ٤٦ -٤٧.

خامساً: نقد تهميش دور الدولة القومية والتقليل من مكانتها المحورية في السياسة الدولية:

لقد قام هانتنغتون في إطار نظريته بتهميش دور الدولة في مقابل الحضارة، اذ اعطى للحضارات الدور الأهم والأكثر تأثيراً، وافترض قيام الصدام الحضاري فيما بينها[١]، وهذا معناه إحلال مرجع هلامي غير محدد المعالم لا يمكن قياسه بدقه [٢]، واضفاء صفة الثبات والدوام على ظواهر هي أقرب الى الظواهر الانتقالية، وذلك لأن فكرة " الصدام الحضاري " لو كانت هي الأصل لسادت تلك الفكرة على مر العصور، وهذا ما يخالف ثوابت التاريخ. يقول " محمد عابد الجابري ": ان(صدام الحضارات من الناحية العلمية مجرد وهم، فكرة غير معقولة، اذ يجب ان تكون الحضارات عبارة عن صحون او سيارات، او ما اشبه بهذا او ذاك حتى يمكن تصورها تتصادم)[٣].

إضافة إلى ذلك، فإن افتراض " هانتنغتون " محاربة الدول لبعضها من أجل الروابط والولاءات الحضارية، يتناقض – كما يقول فؤاد العجمي – : مع (واقع وحقيقة إن الدول تتصرف وفق مصالحها وليس وفق ثقافاتها... فالدول تؤكد على هذه الروابط – الثقافية – فقط أذا أرادت تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية، ومثال ذلك نجد أن الألمان ينجذبون نحو الوحدة الأوربية أكثر من القومية الألمانية برغم الاختلاف الثقافي واللغوي والمذهبي مع شعوب أوروبا وما يفسر السبب هو عدم قدرتها على مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها من الناحية الاقتصادية) [٤]، فالواضح إنه لا الأديان ولا الثقافات ولا حتى الحضارات تسيطر على الدول بل العكس الدولة هي المسيطر الأساسي، فهي لا تهمها الهويات الثقافية أو الحضارية لكن ما يهمها هو تحقيق مصلحتها بطرق أخلاقية أو لا أخلاقية، إن إغفال هانتنغتون لدور الدولة أو التقليل من شأنها في الصراعات والتفاعلات الدولية المستقبلية هي نقطة ضعف جوهرية في أطروحته تجعل من تحليله غير واقعي يتناقض مع ما للدولة من دور ومكانة فاعلة على الساحة العالمية [٥].

---

(١) ايمن ذيب، مصدر سبق ذكره)، ص ٧٦.

(٢) السعيد بو سقطه وخوله بويصله، مفهوم ومنطلقات حوار وصراع الحضارات، (مجلة افاق للعلوم، جامعة الحلفة، العدد الثامن، جون ٢٠١٧)، ص ٤٢٧.

(٣) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٦.

(٤) عامر افخير، (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤.

المبحث الثالث: نقد نظرية صدام الحضارات في "فكر ادوارد سعيد " *

من خلال قراءة وتحليل المفكرون العرب -ومن ضمنهم إدوارد سعيد -لنظرية " صدام الحضارات " توصلوا إلى أن هذه النظرية جاءت في سياق حملة على الإسلام لا تهدف فقط إلى إحلال عدو جديد بديل للعدو السوفيتي الفارط، يتأسس به تماسك الغرب مجددا، بل إن هذه الحملة، التي تتغذى من خلفية حضارية ثقافية معادية للإسلام، جاءت لتستعيد صورة أيديولوجية عنه تراكمت رموزها منذ زمن طويل[١].

إذ عمد بعض المفكرين الغربيين المعاصرين – في سياق هذه الحملة – إلى تغيير مسار السبب الرئيس الذي يدفع باتجاه الدخول في الحرب والصدام، من خلال الانتقال من السبب الاقتصادي والسياسي إلى السبب الثقافي، وهذا ما يتجلى بوضوح عند " برنارد لويس " الذي ذهب إلى القول (إن جميع الأسباب التي تم طرحها عن العداء الإسلامي للغرب، ولا سيما الغرب الليبرالي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، ليست صحيحة، إذ لم تكمن في احتلال الغرب لبعض مناطق العالم الإسلامي، لأن الدول الأخرى كروسيا وغيرها احتلت أيضا أجزاء من هذا العالم دون أن يؤدي ذلك إلى حدوث سخط إسلامي كبير كالذي يعيشه المسلمون تجاه أمريكا وحلفائها) [٢]، ليتوصل " لويس " إلى أن السبب الرئيس يكمن في أن (الاختلافات الثقافية هي المتحكمة والمسببة لهذا العداء ولا يمكن إرجاعه إلى غيره من الأسباب)[٣].

وبذات اتجاه هذه الحملة على الإسلام، وعلى نحو أكثر وضوح، توصل " صموئيل هانتنغتون " في أطروحته " صدام الحضارات " إلى أن العلاقة الرابطة بين الحضارة الغربية والإسلامية هي التي تعيش حالة من الصدام الحضاري الناجم عن الاختلافات الثقافية الكبيرة

(*) : ادوارد سعيد : ولد ادوارد سعيد يوم ١ / نوفمبر ١٩٣٥ في القدس، وترعرع في القاهرة ثم هاجر منها الى الولايات المتحدة الامريكية، نال درجة البكالوريوس من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٧، ثم حصل على الماجستير عام ١٩٦٠، وعلى الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٤. اغنى ادوارد سعيد الساحة الفكرية العربية والعالمية بالكثير من المؤلفات منها (تغطية الإسلام، والقومية والاستعمار والادب، والثقافة والامبريالية، ومن أوسلو الى العراق – وخارطة الطريق) وغيرها من المؤلفات، ولكن يبقى كتابه « الاستشراق « الذي الفه عام ١٩٧٨ من اهم الكتب التي اعطته بعداً عالمياً. فقد اثار ضجة واسعة وجدلاً كبيراً في كثير من الأوساط العلمية والأكاديمية العالمية. توفي ادوارد سعيد في احدى مستشفيات نيويورك يوم ٢٥ / أيلول ٢٠٠٣ بعد اكثر من عشر سنوات من الصراع مع سرطان الدم، وللمزيد عن السيرة الذاتية والعلمية لإدوارد سعيد، ينظر: محمد هاشم البطاط، البعد السياسي للاستشراق في فكر ادوارد سعيد، ط١، عمان، (دار دجلة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦)، ص ١٥- ٩٩.

(١) محمد سعيد القطع، (مصدر سبق ذكره) ، ص ٥٣.

(٢) محمد هاشم البطاط،(مصدر سبق ذكره)، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

بين الأثنين، وإلى العمق الحربي بينهما والحدود الدموية التي لا تهدأ دون أن تفضي إلى مزيد من الاقتتال والحروب المستمرة [١]. كما وأشار " هانتنغتون" في إطار أطروحته إلى أن الناس يميلون إلى العناصر التي توحدهم في مواجهة الآخر / المختلف، فحينما تتعرض حضارة ما إلى خطر خارجي فان المنتمين اليها سيغضون النظر عن الاختلافات والتباينات الجزئية التي تكتنف علاقاتهم، ليتحدوا في مواجهة هذا الخطر، لذلك شدد هانتنغتون على أن الميل للتفكير بعقلية الأنا/ الآخر عند البشر أمر تردد كثيراً في التاريخ الإنساني، فالناس لديهم دائماً ما يغريهم بتقسيم بعضهم إلى " نحن" و " هم " جماعة الأنا المفضلة، وجماعة الآخر، حضارتنا وأولئك البرابرة، الباحثون يحللون العالم على أساس الشرق والغرب، الشمال والجنوب، المركز والأطراف [٢].

من هنا وعلى ضوء تعرضه لموضوعة العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب، يستثمر هانتنغتون ذلك ليوجه نقداً إلى " ادوارد سعيد " الذي أخطأ – حسب رأيه – عندما أشكل على تقسيمات شرق-غرب على أنها ثنائية صنعها الغرب، كونها من الأمور المتعارف عليها منذ القدم، بل إنها تقسيمات فاعلة وحقيقية تربط أفراد كل حضارة فيما بينهم وتؤدلج العلاقة بين مختلف الحضارات على أساس الهوية الثقافية[٣].

لذلك رد " ادوارد سعيد "في العديد من نتاجاته الفكرية على ما جاء به " هانتنغتون " في أطروحته "صدام الحضارات "، **إذ وجه "سعيد " جملة انتقادات لتلك الأطروحة، يمكن إبرازها وبيان أهمها على النحو الآتي:**

أولاً: يرى " ادوارد سعيد " أن " هانتنغتون " لا يأخذ بجدية مدى ما في كل حضارة أو ثقافة من الهجنة والاختلاط بالحضارات الأخرى، وامتلائها بعناصر مأخوذة من تلك الحضارات، وأن مدى الاختلاط والهجنة يجعل القول بوجود ثقافة واحدة موحدة متطابقة دوماً مع ذاتها ضرباً من اللامسؤلية الفكرية [٤]، وعلى أساس ذلك فإن " هانتنغتون " ينظر إلى الحضارات – حسبما يؤكد ادوارد سعيد - وكأنها (أشبه بالحجرات المانعة لتدفق المياه والتي يقبع أتباعها في القاع، وهمهم الوحيد اتقاء شر الاختلاط بالآخرين)[٥].

---

(١) صموئيل هنتنغتون، (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٢) محمد هاشم البطاط،(مصدر سبق ذكره)، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

(٤) ادوارد سعيد، نهاية عملية السلام – أوسلو وما بعدها -، ط١، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٦، ص ١٠٤.

(٥) ادوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير : صبحي حديدي، ط١،(عمان، دار الفارس،)١٩٩٦، ص ١٢٥-١٢٦.

ثانياً: بالرغم من انتهاء الحرب الباردة إلا أن " هانتنغتون " بدى وكأنه يسعى إلى استمرار هذه الحرب، لكن في أقطاب متعددة وليس قطب واحد كما كان الحال قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، والحفاظ على تغذية الرأي العام الأمريكي وتذكيره باستمرار وجود أعداء للحضارة الغربية، وإن هذا الصدام سيكون آخر صدام بين الحضارات في العالم الحديث.

ووفقاً – لإدوارد سعيد- فان هانتنغتون يسعى إلى التضليل في طريقة تناوله وتحليله لطبيعة العلاقة ما بين الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات لا سيما الإسلامية والكونفوشيوسية، وإن الكثير من حججه تستند إلى أفكار منقولة وتقلل من التطورات الكبيرة في فهم طبيعة الثقافات وكيفية تغييرها وتطويرها واستيعابها، إذ اعتمد " هانتنغتون " في طرح أفكاره على الصحافة الدغمائية الشعبية أكثر من اعتماده على البحوث والنظريات الأكاديمية الجادة، وهذا يعني إن حججه تنحاز إلى الصدام ولا تنحاز إلى الفهم الحقيقي والتعاون بين البشر)

ثالثاً: يرى " ادوارد سعيد " أنه ليس بالإمكان التعميم، بأن جميع الصدامات والصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة تعود إلى الاختلافات الثقافية [١].

وهذا يعني، إن خطاب " صدام الحضارات " ما هو إلا خطاب تضليلي تمويهي يهدف إلى صرف الأنظار عن المصالح الغربية وتوجيهها إلى الانشغال بما يخفيها، ويقوم مقامها في تعبئة الراي العام، مثل: الحضارة، والثقافة، والدين [٢].

إن الهدف الذي أراد هانتنغتون تحقيقه من خلال توظيف العامل الثقافي والتستر به، هو هدف سياسي بامتياز يتمثل في تسهيل تقبل العقل الجمعي الغربي للأفكار والمطامع الاستعمارية وتبريرها تجاه الآخرين [٣]، وهذا بالضبط ما أكده " ادوارد سعيد" عندما جعل من (الثقافة هي التي تعطي السياسة شرعيتها الخفية من خلال تأطير أفراد المجتمع داخل وحدة عضوية متراصة ومستعدة للمضي قدماً في تحقيق وتنفيذ أهداف السياسة)[٤].

رابعاً: إن اعتقاد " هانتنغتون " بأن الحضارات هي عبارة عن نماذج مغلقة والحوار والتواصل فيما بينها لا يجدي نفعاً وإنما يقود إلى الصراع فيما بينها، ما هو إلا اعتقاد خاطئ منافي للمنطق

---

(١) محمد هاشم البطاط، ص ٢٧٦

(٢) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر،(مصدر سبق ذكره)، ص ١٢٨.

(٣) محمد هاشم البطاط، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠.

(٤) ادوارد سعيد، الاستشراق وما بعد الكولونيالية، (مجلة الفكر والثقافة،القاهرة، العدد ١٥، ٢٠٠٥)، ص٧٩.

العلمي [١]، إذ يعتقد " سعيد " إن التعددية الثقافية التي يتكون منها العالم ينبغي أن لا ينظر اليها كعنصر سلبي في العلاقات بين المجتمعات الإنسانية، وإنما هي نقطة قوة بالإمكان توظيفها للوصول إلى الشراكة الثقافية والتكامل الإنساني، فليس بالضرورة من -وجهة نظره- أن تؤدي التعددية الثقافية أو الهجنة – التي تشكل الأساس الحقيقي للهوية اليوم – دائماً إلى السيطرة والعداوة والتقاطعات والخلافات العميقة حول المصالح، بل قد تؤدي إلى المشاركة وتجاوز الحدود [٢]، و يستغرب " سعيد " من اعتماد " هانتنغتون " على هذا التفسير " الصدامي " لفهم العالم وطبيعة العلاقات بين المجتمعات البشرية، إذ يفترض أن يصار إلى التركيز على نقاط الالتقاء والتقارب وليس الاختلاف والتباين [٣].

خامساً: أ شار "سعيد" إلى تناقض نظرية "صدام الحضارات " مع ما طرحه " فرنسيس فوكو ياما " في نهاية التاريخ من إن انتصار الليبرالية هو انتصار للعالم وإن على الجميع تبني الليبرالية الرأسمالية وهو ما يبعث على الاطمئنان لمستقبل الولايات المتحدة الأمريكية في حين إن هانتنغتون رفض إمكانية حصول ذلك،حيث تشير مقولته إلى ما هو مستقبلي وتحذر من خطر المواجهة والحرب المحتملة[٤].

لقد أعرب " هانتنغتون " عن قلقه حيال مستقبل الغرب ومستقبل هيمنته الكونية، فيرى أن السياسة الدولية صارت تتحرك بعد انتهاء الحرب الباردة خارج حقبتها الغربية لتغدو متركزة على التفاعل بين الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات المعروفة، وهذا يعني حسبما يقول " ادوارد سعيد " إن هانتنغتون (لم يعد ينظر إلى شعوب الحضارات الأخرى على أنها موضوعاً للتاريخ أو هدفاً للكولينالية الغربية، بقدر ما أصبحت نداً للغرب ومحركة للتاريخ وصانعة له)[٥].

وبلا شك فإن نظرة هانتنغتون هذه، لا تمت إلى الحقيقة باي صلة، فالواقع الدولي يشهد إن العالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي يتحكم على نحو كبير بمفاصل السياسة الدولية ويحرك بوصلتها حسبما تقتضي مصالحه، دون أن يكون للآخرين – لاسيما دول العالم الثالث ومن ضمنها البلدان العربية والإسلامية -القدرات الكافية للتصدي وإبداء الممانعة المؤثرة والفعالة التي يمكن لها أن تكسر النسقية السائدة في المجتمع الدولي.

---

(١) علي عبود المحمداوي،(مصدر سبق ذكره)، ص ٩٥ -٩٦.

(٢) ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة وتقديم : كمال أبو ديب، (ط٣، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٤)، ص ١٠

(٣) محمد هاشم البطاط، (مصدر سبق ذكره)، ص ٢٨١.

(٤) علي محمد عطوان،(مصدر سبق ذكره)، ص ٨٨-٨٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٥-٨٦

سادساً: لقد أكد " ادوارد سعيد" إن أطروحة " صدام الحضارات "، لا تقيم أي مقابلة مباشرة بين الإسلام في المصطلح الغربي الرائج، وبين الحياة الزاخرة بالتنوعات الهائلة التي يحفل بها عالم الإسلام بسكانه وبحدوده الشاسعة التي تمتد وتشمل الملايين من الأميال المربعة في إفريقيا وآسيا بصورة رئيسية، وبالعشرات من مجتمعاته ودوله وتواريخه وجغرافيته وثقافاته المتميزة[١]،أي إنه يؤكد على ذلك الفارق بين ما يطرحه هانتنغتون عن الإسلام وبين واقع المجتمعات والثقافات الإسلامية المتميزة.

من هنا يرى " سعيد" أن أطروحة " صدام الحضارات " تأتي كانسياق عام متماشي مع الاستشراق، لذلك ظهرت على يد " برنارد لويس " الذي عده " سعيد " صاحب مشروع " صدام الحضارات " الذي تبناه فيما بعد " صموئيل هانتنغتون " وقام بتطويره وتوسيعه وارجاع صدى ما طرحه استاذه " برنارد لويس "[٢]، وبطبيعة الحال فإن هذه الأطروحة وجدت مداها الرحب في التمثلات الخاطئة التي كثيراً ما قدمها المستشرقون في تقزيم التنوع الواسع والرحب بين الجماعات المشكلة لعالمي الشرق والغرب داخل بعض المصاديق والنماذج الجزئية، والتعاطي معها على انها التعبير الكلي عن عوالم موغلة في الاختلاف الضمني والصريح ذاتياً، فلا يمكن اعتماد بعض الصدامات بين الجماعات أو السياسات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة لجعلها كشفاً وتعبيراً عن صدام حضاري كبير بين كبريات الحضارات الإنسانية.

يتضح جلياً، إن " ادوارد سعيد " آمن بأن أطروحة " صدام الحضارات " لم تكن إلا نتاجاً استشراقياً، حيث عكست بفكرتها الرئيسية روح الخطاب الاستشرافي الذي ركز على تشويه صورة الدين الإسلامي ومعتنقيه، وهدف إلى شرعنة فكرة الحرب الحضارية بين الإسلام والغرب [٣].

(١) ادوارد سعيد، تغطية الإسلام، ترجمة : محمح عناني، ط١، (القاهرة، رؤيا للتوزيع والنشر،)٢٠٠٠، ص ٨
(٢) محمد هاشم البطاط،(مصدر سبق ذكره)، ص ١٧٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة تبين لنا، إن فكرة الصراع تعد أصلاً إصيلاً في الحضارة الغربية، حيث ورثت هذه الفكرة من العصر اليوناني والروماني، مروراً بالعصور الوسطى والحديثة، ووصولاً إلى الوقت الحاضر، لا سيما على يد " صموئيل هانتنغتون " الذي طرح في عام ١٩٩٣ نظريته عن " صدام الحضارات " والتي افترض فيها أن المصدر الأساس للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدراً أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول بل سيكون مصدراً ثقافياً، كما صنف "هانتنغتون " الحضارات ضمن معيار الـ " نحن / حضارة الغرب " والـ " هم / الحضارات الأخرى "، وعد الحضارات الأخرى وبالذات الحضارة الإسلامية تشكل مصدر خطر وتهديد حقيقي على حضارته الغربية.

على هذا الأساس لم تلقَ نظرية " هانتنغتون " الصدامية ذلك القبول والترحيب على مستوى المفكرين والباحثين العرب، وفي مقدمتهم ادوارد سعيد، حيث انبروا جميعاً إلى تفنيدها ونقدها، بدءً من تعرية فرضيتها ومروراً بكشف اضطرابها وخللها المنهجي وتقزيمها لدور الدولة وما انطوت عليه من نزعة استعلائية / اقصائية. ووصولا إلى ما شخصه " ادوارد سعيد " تجاهها لا سيما عندما أشار إلى أن الهدف الذي سعى " هانتنغتون " إلى تحقيقه من خلالها هو هدف سياسي بامتياز يتمثل في تسهيل تقبل العقل الجمعي الغربي للأفكار والمطامع الاستعمارية وتبريرها تجاه الأخرين، كما وتوصل " سعيد " إلى إن أطروحة " هانتنغتون " الصدامية ماهي إلا نتاجاً استشرافياً تعكس بفكرتها الرئيسة روح الخطاب الاستشراقي الذي ركز على تشويه صورة الدين الإسلامي ومعتنقيه وهدف إلى شرعنة فكرة الحرب الحضارية بين الإسلام والغرب.

المصادر

- **الكتب:**

١. احمد القديري، الإسلام وصراع الحضارات، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩

٢. ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٤.

٣. ادوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير: صبحي حديدي، ط١، عمان، دار الفارس، ١٩٩٦.

٤. ادوارد سعيد، تغطية الإسلام، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، رؤيا للتوزيع والنشر، ٢٠٠٠.

٥. ادوارد سعيد، نهاية عملية السلام – أوسلو وما بعدها، ط١، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٦.

٦. ارنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شيل، ج٤، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١

٧. ايمن ذيب محمد بو هنيه، نظرية صدام الحضارات: دراسة نقدية ورؤية إسلامية، فلسطين، جامعة القدس، ٢٠١٠.

٨. برنارد لويس، الإسلام الاصولي في وسائل الاعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤.

٩. حمدة مفتاح عيسى التميمي، مقاربات نقدية لنظرية صدام الحضارات في السياق الإسلامي، جامعة قطر، كلية والدراسات الإسلامية، ٢٠٢٢.

١٠. زكي الميلاد، كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩.

١١. سعيد حفظاوي، العالم الإسلامي والغرب وجدلية الحوار في عالم ما بعد الحرب الباردة، الجزائر، جامعة باتنة، ٢٠١٨.

١٢. صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: مالك أبو شهيوه ومحمود خلف، ط١، مصراته، الدار الجماهيرية، ١٩٩٩.

١٣. علي عبود المحمداوي، الإسلام والغرب من صراع الحضارات الى تعارفها (قراءة في إشكالية العلاقة)، ط١، بعداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٠.

١٤. علي محمد علوان، الاستعمال الأيديولوجي للثقافة (صدام الحضارات انموذجاً)، البصرة، منشورات اتحاد الادباء والكتاب، ٢٠١٧.
١٥. غيداء فضل عاشور، خطاب الاستعلاء الحضاري واثره في الحوار الغربي – الإسلامي، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٢١.
١٦. محسن ديانت، نظرة على نظرية صدام الحضارات، بمناسبة احداث ١١ / سبتمبر، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٥.
١٧. محمد السعدي، حول صراع الحضارات، حوارات ومقالات مختارة، المغرب، افريقيا الشرق، ٢٠٠٦.
١٨. محمد السعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى آنسة الحضارة وثقافة السلام، ط٢، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.
١٩. محمد سعيد القطع، اثر نظرية صدام الحضارات على الحوار الإسلامي – المسيحي، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٢١.
٢٠. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر : العولمة، صراع الحضارات، العودة الى الاخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.
٢١. محمد عابد الجابري، مسألة الهوية : العروبة والإسلام... الغرب، سلسلة الثقافة القومية (٢٧)، قضايا الفكر العربي (٣)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥.
٢٢. محمد عمارة، الحضارات العالمية تدافع ام صراع، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٨.
٢٣. محمد هاشم البطاط، البعد السياسي للاستشراق في فكر ادوارد سعيد، ط١، عمان، دار دجلة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦

- **المجلات العلمية:**

١. ادوارد سعيد، الاستشراق وما بعد الكولونيا لية، مجلة الفكر والثقافة، القاهرة، العدد ١٥، ٢٠٠٥.
٢. سعيد بنسعيد العلوي، المركزية الفكرية الغربية في ميزان النقد، مجلة الإسلام اليوم، تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الايسيسكو «، الرباط، العدد ٢٨، ٢٠١٢.

٣. السعيد بوسقطة وخولة بويصلة، مفهوم ومنطلقات حوار وصراع الحضارات، مجلة افاق للعلوم، جامعة الحلفة، العدد الثامن، جون ٢٠١٧.
٤. شهوب حكيمة وامال مرسدي، الصرلع الحضاري بين الغرب والإسلام (إشكالية المفهوم)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٧، العدد ٢، ماي ٢٠٠٣.
٥. عامر افخير، قراءة لنظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون،- دراسة نقدية، مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، العدد الثاني، كانون الأول، ٢٠٢٠.
٦. كلوفيس مقصود، العرب وعالم الجنوب وتحديات المستقبل، مجلة المستقبل العربي، نركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢١٧، اذار ١٩٩٧.
٧. لعموري شهيدة، ورزوخي إسماعيل، الصدام الحضاري وصناعة الأعداء (صموئيل هنتنغتون نموذجاً)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد ٢٤، جوان ٢٠١٦.
٨. محمد السعدي، كتب وقراءات : صدام الحضارات، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٤٤، ١٩٩٩.

- **المو اقع الالكترونية :**

١. عبدالله العليان، صرلع الحضارات، ماهي أسبابه، مجلة اراء حول الخليج، على الرابط الالكتروني : http // araa.sa/index
٢. سليمان إبراهيم العسكري، ماذا تبقى من نظرية صدام الحضارات، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 518، على الرابط الالكتروني : http// arabi.nccal.com
٣. عمار جمهور، أطروحة صدام الحضارات لهنتنغتون بين الخرافة والواقع، على الرابط الالكتروني : http // www.ultrasawt.com
٤. بيتر اوبرن، بعد خمسة وعسرين عاماً تم تفنيد نظرية صدام الحضارات لهنتنغتون، على الرابط الالكتروني http // arabizi.com